المبحث السادس

الوصل دون أداة

وهو ما عرفه الجرجاني بقوله «كذلك يكون في الجمل ما تتصل من ذات نفسها بالتي قبلها وتستغنى بربط معناها لها عن حرف عطف يربطها»[(١)].

وأقوم في هذا المبحث بتحديد نوع هذا (المعنى) المراد الذي أشار إليه الجرجاني في تعريفه السابق .

وقد أطلق الدكتور تمام حسان على هذا المبحث (العلاقات الملحوظة)»[(٢)].

وهذه المعاني مستنبطة من الترابط المفهومي Conceptual Connectivity الذي ينشأ من ارتباطك جمل النص ، وقد وصِفت هذه العلاقة بأن فيها :

«من الدقة في تحليل المعاني والتعرف على طبائعها ما لا يستهين به إلا متهاون لا يلتفت لما يقول»[(٣)].

وقد ذكر الجرجاني ثلاثة أنماط من علاقات الوصل الضمني وهي :

١- التوكيد .

٢- الخبر والحكاية .

٣- الإجابة عن سؤال ضمني»[(٤)].

---

(١) دلائل الإعجاز ، ص ٢٢٧ .

(٢) البيان في روائع القرآن ، دكتور تمام حسان ، ٣٩٥/١ ، ويرى دكتور محمد حماسة أن كلمة (الملحوظ) تعني المرأى (من اللحظ) ويرى أنه من الأفضل أن نطلق على مثل هذه العلاقات (العلاقات الدلالية) .

(٣) من أسرار التعبير القرآني ، دراسة تحليلية لسورة الأحزاب ، دكتور محمد محمد أبو موسى ، ط الثانية ، ١٩٩٦ ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ص ٦٩ .

(٤) انظر ص : ٢٤ ، ٢٥ من هذا البحث .

على حين ذكر الدكتور تمام حسان عشرة أنماط[1] وهي :

١- علاقة السببية :

قال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة:١٤٣) أي لأن الله رءوف رحيم بخلقه .

٢- العلاقة التفسيرية :[2]

وعلامة العلاقة التفسيرية أن يصح تأويلها بعبارة (أي أن المقصود كذا) ، فإذا صح هذا التقدير كان ذلك دليلاً على أن الجملة الثانية تفسير لمضمون الأولى :

قال تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (البقرة:١٧،١٨) .

أي أن المقصود بكونهم في ظلمات أنهم صم بكم عمي فليس لحواسهم رجع إحساس أو صدى إدراك .

٣- النقض والإبطال (قلب الدعوى) :

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾

(البقرة:١١،١٢).

ادعوا أنهم مصلحون فأبطل الله تعالى دعواهم ونسبهم إلى نقيضها »[3].

---

(١) انظر البيان في روائع القرآن ، دكتور تمام حسان ، ١/٣٩٥-٤٢١ .

(٢) تدرج هذه الأمثلة لدى الجرجاني تحت قسم التوكيد لأن (حد التأكيد أن تحقق باللفظ معنى قد فهم من لفظ آخر قد سبق منك) دلائل الإعجاز ص ٢٢٩ .

(٣) أدرج عبد القاهر هذه الأمثلة تحت نمط (الخبر والحكاية) .

٤- العلاقة الشرطية :

قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ﴾ (البقرة:١١٤) أي من سعى في منع ذكر الله في مساجده وسعى في خرابها فلن يدخلها إلا خائفًا .

٥- الترتيب والتعقيب :[1]

ويظهر أكثر ما يكون في توالي الأقوال في الحوار :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة:٣٠) أي فقالوا ..... فقال .....

٦- علاقة الملابسة :

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ﴾ (البقرة:١٢٧) أي قائلين ربنا تقبل منا .

٧- الإلزام :

ويعني به استعمال عبارات خبرية أو مصادر منصوبة أو نحو ذلك مما يفهم منه الإلزام ، ومن الإلزام بالعبارات الخبرية قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾ (البقرة:٢٢٨) وقوله تعالى : ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ ﴾ (البقرة:٢٣٣).

٨- الالتزام :

قد يأتي الالتزام في صورة مصدر منصوب نحو ﴿ وَعْدًا عَلَيْنَآ ﴾ ، أو فعل مضارع مؤكد بالنون نحو ﴿ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴾ ، أو جملة خبرية نحو ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ أو على صورة أخرى مثل قوله تعالى : ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا

---

(١) أدرج الجرجاني هذا القسم تحت الإجابة عن سؤال ضمني .

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة:٣٨) وجاء الالتزام هنا في صورة الجملة الشرطية .

٩- علاقة الإجابة عن سؤال وارد :

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة:١٨٦) كأن سائلاً سأل : ما معنى هذا القرب ؟ فكان الجواب : معناه إمكان إجابة الدعوة .

١٠- التفصيل :

فقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ (هود:١٠٥) أي ومنهم سعيد وقد ظهرت بعض هذه الأنماط داخل العبقرية ومنها :

١- علاقة التوكيد :

وأعني بها أن هناك علاقة دلالية نشأت من توالي جملتين فربطت بينهما دون الحاجة إلى أداة للوصل ، وهذه العلاقة هي التوكيد .

ومن ذلك قول العقاد :

« إنما الأمر الميسور في التعريف بهذا الرجل العظيم أن خلائقه الكبرى كانت بارزة جدًا لا يسترها حجاب »[١].

فجملة (لا يسترها حجاب) خبر ثان لكان ، وهذا ارتباط نحوي نتج عنه علاقة دلالية هي التوكيد ، فهذه الجملة إن عطفت بالواو ـ على سبيل المثال ـ على سابقتها لتغير المعنى إلى المغايرة ، أما كونها تأتي بدون أداة للعطف ، وتقع خبر ثان لكان فقد أفادت بذلك معنى التوكيد ، وذلك لأن « ليس يثبت الخبر غير الخبر ، ولا شيء يتميز به عنه فيحتاج إلى ضام يضمه إليه وعاطف يعطفه عليه »[٢].

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٢١ .

(٢) دلائل الإعجاز ، ص ٢٢٧ .

فكأن العقاد قال : « كانت بارزة جدًّا ، كانت بارزة جدًّا » .

ولكن التوكيد ينفي الضد كان آكد وأبلغ .

ومن ذلك أيضًا قوله :

وأعجب من هذا التوافق بين صفاته أن الصفة الواحدة تستمد عناصرها من روافد شتى ولا تستمدها من ينبوع واحد ، ثم هي مع ذلك متفقة لا تتناقض ، متساندة لا تتخاذل ، كأنها لا تعرف التعدد والتكاثر في شيء »[1] .

فتعدد أخبار المبتدأ (هي) : (متفقة ، لا تتناقض ، متساندة ، لا تتخاذل) خلق جوًّا من التوكيد المتتالي عن طريق تعدد الأخبار من ناحية ، وكون هذه الأخبار تسير وفق آلية محددة هي ذكر الوصف ونفي الضد من ناحية أخرى.

والذي خلق أيضًا هذه الاستمرارية هو ذكر الوصف بصيغة (اسم الفاعل) ، ونفي الضد عن (الزمن المضارع) في الخبر التالي له ، فسرى معنى التوكيد في هذه الأخبار من حيث بنيتها ودلالتها .

٢- الإجابة عن سؤال ضمني :

وأعني بها أن العقاد أثناء عملية الكتابة كان معنيًّا بالمتلقي ، لأن الرسالة التي يكتبها موجهة إليه في المقام الأول ، فقام العقاد بطرح الأسئلة التي قد ترد في ذهن المتلقي ، ولكنه لم يكتبها في نص العبقرية ، وإنما أعطى إجابات يدلل نصها على مضمون السؤال . ومن ذلك :

« أنقول رجل قوي ؟ نعم هو رجل قوي لا مراء ، وكل عظيم فهو قوي بمعنى من معاني القوة . نعلم هذا فنعلم الشيء المهم عنه »[2] .

فقوله : (نعلم هذا فنعلم الشيء المهم عنه) كأنه يجيب عن سؤال ضمني في ذهن المتلقي وهو : (لم نعلم هذا؟) أو (لماذا تعلمنا بذلك؟) .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٢١ ، ولمزيد من الأمثلة انظر عبقرية عمر : ص ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣، ٣٧ ، ٤٧ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠ .

وقوله :

«سبر غوره واستكنه عظمته ، وعرفه في أصلح مواقفه فعرف الموقف الذي يتقدم فيه على غيره ، والموقف الذي هو أولى بتقديم غيره عليه .

وليست هي مفاضلة بين رجلين ولا موازنة بين قدرتين ... ولكنها مسألة التوفيق بين الرجل والموضع الذي ينبغي أن يوضع فيه ، والمهمة التي ينبغي أن بندب لها ، والوقت الذي يحين فيه أوانه»[1] .

فقوله (ليست هي مفاضلة ...) تعد ردًّا على سؤال ضمني في ذهن المتلقي هو : (هل ما ذكرته يعد مفاضلة بين رجلين أو موازنة بين قدرتين؟) .

وقوله :

« .... لم أر عبقريًّا يفري فرية ...» .

كلمة قالها النبي ﷺ في عمر رضي الله عنه ، وهي كلمة لا يقولها إلا عظيم عظماء ، خلق لسياسة الأمم وقيادة الرجال»[2] .

فقول العقاد (كلمة قالها النبي عليه السلام ...) يعد ردًّا على سؤال في ذهن المتلقي حول طبيعة هذه الكلمة .

«وقوله : كان عادلاً لأسباب كأنه عادل لسبب واحد لقلة التناقض فيه وربما كان تعدد الأسباب هو العاصم الذي حمى هذه الصفة أن تتناقض في آثارها»[3].

فقوله «ربما كان تعدد الأسباب هو ....» يعد ردًّا على سؤال ضمني تقديره (ما الذي حمى صفة العدل من التناقض؟) .

---

(١) عبقرية عمر ، ص ٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٧ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٢٢ .

وقول العقاد :

«ومن فرط حسه وتوفز شعوره أنه كان يميز بين بعض المذوقات والمشمومات التي لا يسهل التمييز بينها سقاه غلامه ذات يوم لبنا فأنكره ، فسأله : ويحك من أين هذا اللبن ؟ قال الغلام : إن الناقة انفلت عليها ولدها فشرب لبنها فحلبت لك ناقة من مال الله»[1] .

فقوله (ومن فرط حسه وتوفز ... التي لا يسهل التمييز بينها) أثار في ذهن المتلقي سؤالاً : ما دليلك على هذا ؟ فأجاب العقاد بذكر هذا المثال ليؤكد كلامه السابق .

* * *

(١) عبقرية عمر ، ص ١٦ .